IJCRT.ORG ISSN : 2320-2882

INTERNATIONAL JOURNAL OF CREATIVE RESEARCH THOUGHTS (IJCRT)

An International Open Access, Peer-reviewed, Refereed Journal

مكانة المرأة في المجتمع الهندي في ضوء الرحلات العربية

The Status Of Women In Indian Society In The Light Of Arab Journeys

Dr. Mohd Zulfeqar Mohiuddin Siddiqui

(Associate Professor of Arabic Govt. Degree and PG College for Women, Hussaini Alam, Hyderabad. T.S. India.
& Former Dean Faculty of Oriental Languages O.U.)

مقدمة:

إن المرأة نصف المجتمع البشري، فتجدر بكل تقدير وتستحق كل احترام، وإن الرحلات مصدر مهم للتعرف على مكانة المرأة في مجتمع ما، فإن الرحالة يكتب ما يشاهد، ويسجل ما يجري، بخلاف كاتب ذلك المجتمع، فإنه يحاول أن يصور المجتمع صورة حسنة، أما الرحالة فإنه يحاول أن يصور المجتمع صورة صادقة. فأنقل هنا ما نقله الرحالون العربية في رحلاتهم من وضع المرأة ومكانتها في المجتمع البشري.

مفهوم الرحلة لغة واصطلاحا:

قبل أن أنقل مقتبسات من الرحلات العربية لتقديم صورة صادقة لوضع المرأة الهندية ومكانتها في المجتمع الهندي أرى من المناسب أن أذكر مفهوم الرحلة لغة واصطلاحا.

الرحلة لغة:

الرحلة في اللغة تطلق على الانتقال والحركة والسير من مكان إلى مكان آخر. يقول ابن منظور:

"الترحيل والإرحال بمعنى الإشخاص والإزعاج. يقال: رحل الرجل إذا سار، وأرحلته أنا. ورجل رحول، وقوم رحل: أي يرتحلون كثيرا، ورجل رحال: عالم بذلك مجيد له... والراحلة من الإبل: البعير القوي على الأسفار والأحمال ... وناقة رحيلة: أي شديد قوية على السير، وارتحل البعير رحلة: سار فمضى، ثم جرى ذلك في المنطق، حتى قيل: ارتحل القوم عن المكان ارتحالا، ورحل عن المكان يرحل، وهو راحل من قوم رحل: انتقل ... والترحل والارتحال: الانتقال، وهو الرحلة والرحلة، الرحلة اسم للارتحال للمسير".[1]

الرحلة اصطلاحا:

إن الرحلة في الاصطلاح هو أدب الرحلة، وله تعريفات عديدة، منها:

"الرحلة نوع حركة أو مخالطة أو نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة".[2]

"انتقال واحد أو جماعة أو عائلة أو قبيلة أو أمة من مكان إلى آخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة".[3]

إن أدب الرحلة هو مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة أو يجمع بين كل هذا في آن واحد".[4]

"ذلك النثر الذي يصف رحلة أو رحلات واقعية قام بها رحال متميز، موازنا بين الذات والموضوع من خلال مضمون وشكل مرئيين بهدف التواصل مع القارئ والتأثير فيه".[5]

وفي الموسوعة البريطانية: "إن هذا النوع الأدبي النثري غير القصصي، يحتل الرحالة نفسه المكانة أكثر من البلد الذي يزوره وتضيف الموسوعة قائلة إن الرحالة في العصر القديم كان مغامرا أو محبا للفنون أو كان راغبا في رؤية المناظر الأجنبية ومعرفة العادات الغريبة بالإضافة إلى كونه كاتبا إبداعيا".[6]

وخلاصة هذه التعريفات أن الرحلة هي التي يصور فيها الكاتب ما جرى له من أحداث وما صادفه من أمور في أثناء رحلة قام بها إلى أحد البلدان.

الرحلات العربية:

الرحلات العربية تعنى هنا كتب التي سجل فيها الرحالون العرب إلى الهند ما شاهدوه أثناء الرحلة إلى الهند وفي الهند وما شعروا به من انطباعات وأحاسيس، وما عبروا عنه من أفكار وآراء. والكتب التي من قبيل الرحلات الهندية عديدة، منها ما يلي:

- أخبار الصين والهند لسليمان التاجر وأبي زيد حسن السيرافي:
- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة للبيروني:
- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لابن بطوطة
- الهند كما رأيتها لفتح الأنطاكي
- حول العالم في 200 يوم لأنيس منصور
- رحلاتي في العالم لنوال السعداوي
- سلسلة الرحلات الهندية لمحمد بن ناصر العبودي
- جولة في ربوع آسيا لمحمد ثابت

المرأة الهندية في الرحلات العربية:

إن الرحلات – في أي لغة كانت – تكون وثائق الوقائع التاريخية وسجلات الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ونجد فيها قد لا نجد في كتب التاريخ، فإن المؤرخين لا يعتنون بأمور دقيقة، وأحوال قد تخفى على كثير من الناس ولكنها مهمة جدا من بعض النواحي. فإن المؤرخين يهتمون بأحوال الحكام والسلاطين، وتفاصيل الحرب والحفلات الحكومية، وهم لا يهتمون بما يجري في المجتمع البشري، وما هو وضع المرأة، والطبقات المنبوذة والمتخلفة، فمثل هذه الأمور نجد في الرحلات. ومن تلك الأمور التي كتب الرحلات أهم مصدر لها قضية المرأة الهندية التي أتناولها في السطورة الآتية. فأبدأ ببيان البيروني، فإنه صور المجتمع الهندي تصويرا دقيقا ومفصلا بالنسبة لغيره من الرحالين. فيقول البيروني:

"ومن شأن الهند أن يكون التزويج فيهم على صغر السن، ... ولا يفرق بين الزوجين إلا الموت إذ لا طلاق لهم، ... وأما المرأة إذا مات زوجها ... هي بين أحد أمرين: إما أن تبقى أرملة طول حياتها، وإما أن تحرق نفسها وهو أفضل حاليها؛ لأنها تبقى في عذاب مدة عمرها. وما دامت المرأة نفساء لم تقرب من آنية ولم يؤكل في دارها شيء ولم يوقد نارا فيها برهمن".[7]

وجاء في أخبار الصين والهند:

"وإذا أراد أحد منهم أن يتزوج، لم يزوج إلا بقحف رأس رجل من أعدائهم فإذا قتل اثنين، زوج اثنين، وكذلك إذا قتل خمسين زوج خمسين امرأة بخمسين قحفا. وسبب ذلك أن أعدائهم أكثر، فمن أقدم على القتل أكثر كانت رغبتهم فيه أوفر".[8]

ويقول الفتح الأنطاكي:

"... وأما بين النساء فلا يعرف القراءة والكتابة سوى 2% من المجموع، و98% جاهلات يعتقدن بالخرافات الكثيرة ويقعن فرائس لعمال الإثم والسوء والوشايات. وقد علمت مع مزيد الأسف أن كثيرات من الأرامل الهندوكيات تضحين بأنفسهن على قبر أزواجهن عملا بإرشادات وأوامر بعض رجال الدين".[9]

وفي رحلاتي في العالم:

" لكن المرأة في الهند — بصفة عامة — لا تزال حريصة على إرضاء الرجل معظم الأسر في الهند أبوية، الرجل هو الذي يسيطر، والأطفال الذكور يحظون برعاية أكثر، وطعام أفضل وتعليم أكثر من الأطفال البنات، والمرأة في الهند هي التي تدفع المهر لزوجها، ويزيد مهر العريس بارتفاع طبقته وبارتفاع منصبه وتعليمه. وهذا بقايا النظام الأموي الذي كان سائدًا في الهند، وكانت المرأة لها السيادة داخل البيت وخارجه. كانت هي التي تعمل وهي التي تملك وهي التي ترث وهي رئيسة الأسرة يُنْسَب إليها أطفالها، وبعد أن ثار الرجل على المرأة وانتشرت الأبوية وفقدت المرأة سيادتها لم يتغير نظام دفع المهر كثيرًا، وظلت المرأة هي التي تدفع المهر لزوجها، لكن هناك جيلًا جديدًا من البنات الهنديات اللائي يثرن على هذا النظام ويرفضن دفع المهر للعريس، بل يرفضن الزواج كليةً ما دامت عقلية الرجل الهندي أصبحت تنظر إلى الزوجة كمخلوق أقل من الرجل."[10]

ويقول محمد بن ناصر العبودي:

"والمرأة في الهند قديما كانت مظلومة، بل كان الظلم الذي يقع عليها أعظم من أي ظلم يقع على أية امرأة في العالم الذي قرأنا أخباره وآثاره في القديم، ومن ذلك أن زوجها إذا مات كان عليها أن تدخل النار التي تحرق بها جثثه وحرق الميت أمر واقع حتى الآن. ... فكان على

المرأة التي يموت عنها زوجها أن تدخل النار التي يحرق فيها جسده وهي حية حتى تحترق مع جثته. وهذا أمر إلى فظاعته غير عادل، ... لقد استمرت هذه العادة مرعية معمولا بها في الهند، وهي قديمة حتى إن بطوطة ذكرها في رحلته فنسبه بعض المؤرخين إلى الكذب قائلين: إن ذلك أمر غير معقول. ولكن الواقع أن الأمر كذلك وأنه استمر حتى استولى الإنكليز على الهند فمنعوا هذه العادة بالقوة. ... وإذاكانت هذه العادة الشنيعة قد ألغيت فإنه قد بقيت بقايا جائرة من التقاليد بالنسبة إلى المرأة التي يموت عنها زوجها، إذ عليها أن تظل بدون زوج حتى تموت، ولا يجوز لها أن تتزوج ولا يجوز لأحد من الرجال أن يتزوجها".[11]

وفي كتاب جولة في ربوع آسيا:

"ويوصي الدين البرهمي بأن الزوج إله الزوجة في الأرض؛ خلقت لسروره، وخضعت له، مهما فسد جسمه أو خلقه أو عقله، ولا بد أن تطيع حماتها. ويا ويلها منها إن لم تعقب طفلا، أو عقبت أنثى! فلها أن تستعبدها عندئذ؛ لذلك كان عدد المنتحرات بين سن 14 و 19 مروعا، وإذا مات زوجها حتم الدين أن تحرق جثتها معه، وإلا كانت موضع اللعنات، ولم يبح لها شيء من السرور، ولا تتزوج ثانية، بل تحلق رأسها وتقصد أحد المعابد لتظل فيه أيامها الباقية. ويجب ألا تظهر كثيرا من الناس لكيلا يؤثر فيهم نحس طالعها. وفي إحصاء سنة 1925م بلغ عدد الأرامل في الهند 26843838. وبمجرد شعور الحامل بألم الوضع تنبذ في غرفة ضيقة مظلمة، ولا يقترب أحد منها قط؛ لأنها أصبحت نجسة. ... أما الطعام فيمنع بتاتا عن الأم بين أربعة أيام وسبعة، ويظهر أن السبب الأصلي ألا تصاب أواني المنزل برجس".[12]

الخاتمة:

في ضوء ما تقدم من المقتبسات التي نقلتها من الرحلات العربية يتضح أن وضع المرأة في المجتمع الهندي لم يكن على أحسن ما يرام، بل هي بأسوأ مكانة في المجتمع، لم يكن لها حق، ولم يكن تتمع بحرية. فإنها كانت تحرق بعد موت زوجها. وكانت تعتبر نجسا في أيام الحيض والنفاس، فكان زوجها وأهل بيتها يبتعدون عنها لكي لا يكونوا نجسا. هذا كان في الماضي، أما بعد الاستقلال وتطبيق الدستور قد تحسنت حالها إلى حد، وإن كان هذا التحسن لم يكن بقدر يذكر ويفتخر به.

الهوامش:

[1] محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ): لسان العرب. ط: الثالثة - 1414 هـ، بيروت: دار صادر. ج 11، ص 279

[2] الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، مكتبة الدعوة الإسلامية، القاهرة، ج 2، ص 245

[3] بطرس البستاني: دائرة المعارف، ط: 1884م، بيروت: مطبعة المعارف. ج 8، ص 564

[4] مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 12

[5] الموافي، ناصر عبد الرزاق. الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 41 ، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، القاهرة، الطبعة الأولى، 19

[6] Encyclopedia Britannica, Macromedia Lon1985 ,194/23 11

[7] أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (المتوفى 440هـ - 1048م): تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة. ط: 1985، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن. ص 469-472

[8] سليمان التاجر وأبو زيد السيرافي: أخبار الصين والهند، تحقق: إبراهيم خوري.ط، 1991 م، بيروت: دار الموسم للأعلام. ص 32

[9] فتح الله أنطاكي: الهند كما رأيتا. ط: الأولى ، القاهرة: فاضل برنتنك بريس. ص 75

[10] نوال السعداوي: رحلاتي في العالم. ط: مؤسسة هنداوي. ص 153

[11] محمد بن ناصر العبودي: نظرات في شمال الهند (من سلسلة الرحلات الهندية. ج 1، ص 30، 31

[12] محمد ثابت: جولة في ربوع آسيا بين مصر واليابان. ط: هنداوي. ص 29، 30

المصادر والمراجع:

1- أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (المتوفى 440هـ - 1048م): تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة. ط: 1985، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن

2- الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، مكتبة الدعوة الإسلامية، القاهرة.

3- بطرس البستاني: دائرة المعارف، ط: 1884م، بيروت: مطبعة المعارف.

4- سليمان التاجر وأبو زيد السيرافي: أخبار الصين والهند، تحقق: إبراهيم خوري.ط، 1991 م، بيروت: دار الموسم للأعلام.

5- فتح الله أنطاكي: الهند كما رأيتا. ط: الأولى ، القاهرة: فاضل برنتنك بريس.

6- مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب.

7- محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ): لسان العرب. ط: الثالثة - 1414 هـ، بيروت: دار صادر.

8- محمد بن ناصر العبودي: نظرات في شمال الهند (من سلسلة الرحلات الهندية.

9- محمد ثابت: جولة في ربوع آسيا بين مصر واليابان. ط: هنداوي.

10- الموافي، ناصر عبد الرزاق. الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 41 ، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، القاهرة، الطبعة الأولى.

11- نوال السعداوي: رحلاتي في العالم. ط: مؤسسة هنداوي.

12- Encyclopedia Britannica, Macromedia Lon1985 ,194/23 11